المحاضرة الرابعة: دراسة يانكي سيتيدراسة يانكي سيتيل 'ويد وارنر'

تمهيد:

كانت دراسة 'يانكي سيتي' امتدادا لتجارب الهاوثورن في مدرسة العلاقات الإنسانية التي كان 'لويدوارنر' قد شارك فيها لفترة قصيرة ثم حوّل اهتمامه من المجتمعات البدائية إلى المجتمعات الحديثة، وشكل هو الآخر فريقا بحثيا بجامعة شيكاغو بغرض دراسة العلاقة بين المصنع والبيئة الخارجية المحيطة به، وقد كشف البحث الأولي وجود بعض المعوقات لدراسة مدينة كبيرة ليتحول البحث لدراسة مجتمع محلي صناعي صغير يمكن فيه دراسة مشكلات عمال المصنع في إطار السياق الاجتماعي الطلي الذي يعيشون فيه، فوقع الاختيار على مجتمع تتميز فيه الأنماط الاجتماعية بالاستقرار النسبي ومقاومة التغير، فكان ذلك في مدينة ساحلية صغيرة لها تاريخ طويل ومتواصل ألا وهي 'نيو بيري بورت NEW BURY PORT' في ماساتشوستس *Massachusetts*.

التعريف بلويدوارنر (1898-1970):

ولد لويدوارنر بكاليفورنيا في أكتوبر 1898 وهو عالم أنثروبولوجي وعالم اجتماع ينتمي إلى الطبقة المتوسطة، درس في جامعة هارفرد في قسم الأنثروبولوجيا وكلية إدارة الأعمال وقد أصبح عضوا في مجموعة علماء علم النفس الاجتماعي، وقم وارنر بتدريس علم الإنسان وعلم الاجتماع والأخلاق الاجتماعية في جامعة هارفرد من 1929 إلى 1935 قام فيها بالعديد من الأعمال الميدانية، كما عمل أستاذا مشاركا (1935-1941) وأستاذا لعلم الاجتماع بجامعة شيكاغو من 1941 إلى 1959 وبعد ذلك أستاذا بالأبحاث اجتماعية في جامعة ولاية ميشيغان.

طبق وارنر تقنيات الأنثروبولوجيا في دراسة مجتمعات السكان الأصليين الصغيرة إلى المعاصرة في المدن الصناعية وكان رائدا في دراسة الطبقات الاجتماعية الأمريكية وتضمنت منشوراته الواسعة سلسلة 'يانكي سيتي' وتوفي 23 ماي 1970.[1]

المجال الجغرافي والزمني والبشري للدراسة:

1) المجال الجغرافي: تمت الدراسة في مدينة نيو إنجلاند وبالضبط مدينة 'نيو بيري بورت NEW BURY PORT' في ماساتشوستس MASSACHUSETTS بالولايات المتحدة الأمريكية، وهي مدينة ساحلية صغيرة وقع عليها الاختيار من طرف وارنر الذي بحث عن مجتمع تتميز فيه الأنماط الاجتماعية بنوع من الاستقرار ومقاومة التغيير.
2) المجال الزمني: بدأ العمل الميداني سنة 1931 إلى سنة 1935 بينما صدر العمل في خمسة مجلدات ضخمة في 1941-1959.
3) المجال البشري: اختار وارنر النوع المسحي إذ اعتمد على المسح الشامل لجميع سكان مدينة نيو بيري بورت والذي كان يبلغ آنذاك 18 ألف نسمة.

أدوات ومنهج جمع وتحليل المعطيات:

اعتمد وارنر في جمع المعطيات على المقابلات، الملاحظة (خاصة الملاحظة بالمشاركة)، الوثائق الشخصية من البلدية، الكنائس، المصانع، اليوميات والمفكرات، وقد سعى إلى جمع معلومات غزيرة فاستعان بالوثائق العامة، الصحف والعد الإحصائي وتاريخ الحالة وتتمثل المنهجية المتبعة في ترتيب البيانات التي جمعت في 'يانكي سيتي' حسب أسماء الأفراد ويتكون الجزء الرئيسي من التحليل من تعاقب مراتب الأفراد وعلاقاتهم باستخدام نظام الملفات الذي يجمع المعلومات بشكل فردي عن كل ساكن تقريبا من سكان المدينة.[2]

واعتمد بتحليل المعطيات على المنهج الكيفي وتحليل المضمون لتحليل تلك المقابلات والوثائق التي تم جمعها، وقد أفرز ذلك التحليل خمسة مواضيع مهمة والتي جسدت تلك المجلدات ومضمونها:

- النمط العام للحياة الاجتماعية.
- تحليل دقيق لنسق المكانة.
- التطور المفاجئ والهام لصناعة الأحذية.
- الرموز السياسية والتاريخية والدينية ليانكي سيتي.
- أوضاع ثمان جماعات عرقية في المجتمع المحلي (الإيرلنديون، الكنديون، الفرنسيون، اليهود، الإيطاليون، الأرمن، اليونانيون، الروس، البولنديون).

وقد ساعده في إعداد هذه المجلدات مجموعة من المشاركين والمساعدين الأكفاء قدر عددهم بـ30.[3]

أهمية وأهداف الدراسة:

تعتبر دراسات يانكي سيتي من أهم الدراسات الأنثروبولوجية التي بحثت مشكلة المجتمعات الصناعية وأهم التغيرات التي طرأت على الأنماط الاجتماعية في إطار السياق الاجتماعي واتجهت الدراسة إلى الظروف الاجتماعية الخارجية المحيطة بالتنظيم كمشكلات المجتمع المحلي والتدرج الاجتماعي مما مكن من استعارة المفهومات السوسيولوجية لتحليل البناء الاجتماعي للمصنع كالدور والمكانة والثقافة من أجل فهم التنظيم وطابع الحياة الاجتماعية فيه...ففي دراسة وارنر عن اليانكي سيتي حاول أن يفسر ظاهرة اتحاد عمال الأحذية بالرجوع إلى التغيرات العديدة التي شهدها كل من بناء المصنع والمجتمع المحلي[4]، وتعتبر دراسة وارنر عن النسق الاجتماعي الحديث بمثابة إسهام رئيسي في التطور التاريخي والفكري لحركة العلاقات الإنسانية، وقد حاول دراسة العلاقة بين الصناعة والمجتمع المحلي وتفسير الظواهر الاجتماعية في المجتمع الصناعي بوضعها في السياق المجتمعي الأكثر شمولا (باعتبار المنظمة نسقا مفتوحا).

وقد أسهم مشروع يانكي سيتي في تغيير وجهة نظر الأمريكيين عن مجتمعهم على أمل إيجاد الحلول العلمية للمشكلات الاجتماعية والصناعية القائمة والعلاقات المتبادلة بين التنظيمات الاجتماعية السائدة في الصناعة والمدينة والمجتمع العام، وتعتبر الدراسة السوسيولوجية التي قام بها وارنر حول الطبقات الاجتماعية في المجتمع الأمريكي ذات آثار بالغة الأهمية ومحاولة علمية رائدة في التطور المعرفي لمفهوم التدرج الطبقي (التباين الطبقي) مركزا على محور المكانة الاجتماعية وبعض المحددات المعرفية والمنهجية التي أفضت إلى أن مجتمع يانكي سيتي هو مجتمع تعددي ينطوي على نسق طبقي متدرج قوامه ست طبقات.

دراسة يانكي سيتي:

تتمثل أهم الاختلافات المنهجية بين ميدل تاون ويانكي سيتي في معالجة الجماعات في ميد تاون على أنها تجمعات في حين تم ترتيب ملف كل فرد في اليانكي سيتي وقد أسهم مشروع يانكي سيتي على غرار دراسات ميدل تاون في انتشار وجهة نظر الأمريكيين عن مجتمعهم واكتشاف وجود نسق واضح من الطبقات الاجتماعية يؤثر في حياة السكان من جميع الجوانب، وقد تم ترتيب البيانات التي جمعت وتحليلها وتعقب روابط الأفراد وعلاقاتهم.

ويتألف النظام الطبقي من ست طبقات لكل طبقة اسم يستند إلى أحياء المدينة (مثل سكان شارع هيل، ريفر) لتستخدم كتعبيرات مهذبة عن التصنيفات الطبقية بلغة وارنر، كما أوضح وارنر أن هذا النسق الطبقي الموجود في نيو بيري بورت موجود في مجتمعات أخرى دون الحاجةللبحث في ذلك.[5]

نتائج الدراسة: من أهم النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة :

- التمايزالطبقي للمجتمع المحلي قوامه ست طبقات أساسية هي في جوهرها جماعات موروثة وهي:

1) الطبقة العليا العليا The upper upper class:وهم يمثلون الطبقة الأرستقراطية العريقة في المدينة بحكم المولد والثروة والتي وفد أسلافها إلى المنطقة قبل اندلا ع الحرب الثورية الأمريكية وحققوا ثروات ضخمة من اشتغالهم بالأعمال البحرية والصناعات الفخمة العلاقة، أما أسلوب حياة هذه الطبقة. فقوامه هو الحرص على سعة العائلة والزواج من داخل الطبقة والتأكيد على المسؤولية الاجتماعية والحفاظ علىتقاليد الأسلاف والميل إلى حياة الترف (مباريات البولو، الولائم الرسمية الضخمة،حلقات الرقص...الخ) كما تتميز بقدر محسوس من الاستقلال النسبي من حيث الثروة.[6]

2) الطبقة العليا الدنيا The Lower upper class: وهي تحاول أن تشبه الطبقة السابقة في معيشتها إلا أنها تختلف عنها، فأسرها ليست قديمة وأسلوب حياتها مكتسب حديثا (الأغنياء المحدثين) وبوجه عام فهي تمثل طبقة فرعية مكوناتها ليست عائلات عريقة وإنما أعضاؤها من الأثرياء الجدد الذين يتمتعون بدخول كبيرة ويمتلكون سيارات فارهة ويقيمون في مساكن ضخمة ويحاولون تقليد أسلوب حياة الطبقة العليا لكنهم رغم ذلك يفتقدون الجاذبية الاجتماعية التي من شأنها الوفاء بذلك.

3) الطبقة الوسطى العليا The upper middle class: وتتكون من رجال الأعمال الحرة وأصحاب المهن الفنية المتخصصة الذين يتمتعون بقدر من الاستقلالية، وهم أيضا خريجو الجامعات وينتمون إلى الهيئات الرسمية وغير الرسمية، لديهم قدر من الثروة يمكنهم العيش في حياة الترف بدرجة أقل من الدجات السابقة.

4) الطبقة الوسطى الدنيا The lower middle class: تتكون من صغار التجار والياقات الزرقاء، والعمال وأصحاب الأجور المرتفعة والموظفين الأقل دخلا من الطبقة السابقة.

5) الطبقة الدنيا العليا The upper lower class: وتتكون من عمال المصانع وباعة المتاجر وموزعي السلع (وهم يمثلون 40٪ من قوة العمل في أمريكا) وتتميز بمستوى معيشي متدني والاحتقار إلى أدنى الحقوق الاجتماعية.[7]

6) الطبقة الدنيا الدنيا The lower lower class: تشمل هذه الطبقة المطرودون أو المنبوذون أو من يشتغلون مهن غير شريفة وهي تقع في أسفل سلم التدرج الطبقي وهي تشمل بوجه عام

أولئك الذين يشتغلون بصفة غير منتظمة (أعمال يومية أو موسمية) وهم يعيشون عادة في المناطق المتخلفة وسلوكهم الاجتماعي لا يلقى قبولا من الآخرين.

- اليانكيون هم الأشخاص المنحدرون من المستوطنين (الإنجليز الأول) في نيو إنجلاند، وهم يشكلون من أصل محلي حوالي نصف السكان وهم ممثلون في جميع الطبقات الست وخاصة الطبقة العليا، وتعيش هذه الطبقات الست في حدود مكانتها الاجتماعية دون وجود صراع فيما بينهم.

- لا يعتقد النسق الطبقي في يانكي سيتي على رأس المال فقط والوصول إلى تحسين الأوضاع من خلال فرص الكسب المختلفة بدليل أن هناك أسر تنتمي إلى الطبقة العليا ودخلها متواضع مقارنة بالطبقات الأدنى منها (الطبقة الوسطى) إذ تحتاج عملية الانتقال والتحول من طبقة إلى أخرى صعودا أو نزولا إلى فترات زمنية طويلة ومناسبة.

- العضوية المهمة في يانكي سيتي هي عضوية الأسرة، الزمرة، الرابطة والجماعة الاقتصادية ولكل منها نمطها الطبقي الخاص بها، فأعضاء نفس الأسرة عادة ما ينتمون إلى نفس الطبقة وأعضاء الزمرة تنتمي إلى طبقة أو طبقتين متقاربتين، وأعضاء الرابطة تنتمي إلى تشكيلة من الطبقات تبعا لطبيعتها، أما أعضاء الجماعة الاقتصادية فيتفاوتون تفاوتا حادا من الناحية الطبقية.[8]

- يحتاج الصعود في السلم الاجتماعي إلى قبول أفراد الطبقة العليا بصعود وانضمام ذلك الفرد إليهم، وتكون كل طبقة مكتفية وكبيرة بدرجة تمنع أي فرد أو زمرة أن تحتكر الوصول إليها.

- عكست دراسة يانكي سيتي مجتمعا مغايرا لما كان سائدا ومتوقعا من وجود للمساواة والديمقراطية في المجتمع، فالتنوع المحلي هو أساس تجانس النظم في المجتمع المحلي.

- كانت الإضرابات العمالية تبوء بالفشل في البداية نظرا لاختيار وإقامة إدارة المصنع والعمال في مجتمع محلي واحد مما ساهم في انسجام العلاقة بين النقابة وإدارة المصنع والتوصل إلى حلول توفيقية مع العمال إلا أن الإضرابات في فترة لاحقة استطاعت تحطيم وتجاوز مظاهر الصداقة والعلاقات غير الرسمية بين المرداء والعمال وذلك لامتداد الصناعة إلى غاية نيويورك واستبدال المدراء بآخرين ليسوا من السكان المحليين.[9]

وكما هو الحال في 'ميدل تاون' كان الاكتشاف المبكر الهام في 'يانكي سيتي' هو وجود نسق واضح من الطبقات الاجتماعية يؤثر في حياة السكان وقد أدت نتائج هذا المشروع إلى انتشار وجهة نظر الأمريكيين مغايرة عن مجتمعهم.

وبظهور أعمال 'وارنر' الذي حاول دراسة العلاقة بين الصناعة والمجتمع المحلي وتفسير الظواهر الاجتماعية في المجتمع الصناعي بوضعها في السياق الاجتماعي والمجتمعي، وقد أمكن استعارة المفهومات السوسيولوجية لتحليل البناء الاجتماعي للمصنع كالدور والمكانة والثقافة كما يتوقف فهمنا للتنظيم وطبيعة الحياة الاجتماعية على إدراكنا للإطار الاجتماعي الذي يحيط به والقوى التي تربطه بالمجتمع.